

طيبة حسن الخليفة شريف

الفصل السادس

القصاص المقدسة التي تربط النساء العراقيات

الشييعات عبر الزمان والمكان

«إن من يذكرنا [آل النبي محمد] أو تنزل من عينيه عند ذكرنا دمعة تساوي جناح
بعوضة سيفغر الله له كل ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»

جعفر الصادق (الإمام السادس)

في آذار/ مارس 1991، فرّ آلاف من الشيعة العراقيين من بيوتهم إلى الخطوط
التي تحتلها القوات الأميركية في جنوب العراق بعد التخلي عن متمردى الانتفاضة
الشيعية، فنقلوا إلى مخيم سعودي للاجئين في الصحراء غير بعيد عن الحدود
العراقية. وطيلة عام 1993 تم توظيف مجموعات صغيرة من هؤلاء اللاجئين في
هولندا. وبعد ذلك بثلاثة أعوام تعرفت على كثيرين منهم. فقررت أن اجعل حياة
خمسين من نسائهم موضوعاً لأطروحتي للدكتوراه.

وكانت أهم مقابلاتي هي التي سجلتها مع النساء الأكبر سنّاً، وخاصة مع فاطمة،
وحبيبة، ونبيلة، وأمينة، وجميلة، وأم أحمد، وأم فارس وسليمة الملائية (أي الزعيمة
الدينية). وفي بادئ الأمر خشيت النساء أن يخبرنني بتاريخ حياتهن الشخصية،
وفضلن اللجوء إلى الأسلوب القصصي القرآني وإلى الشعر. ولكن بعد استقرارهن
في بيئتهن الجديدة وارتياحهن إليّ، عادت إليهن الثقة باستخدام الأطر التقليدية
لسردهن القصصي.

لقد فقدت هؤلاء الشييعات العراقيات أسرهن، وتاريخهن، وثقافتهن. غير أن
أحد الجوانب الجوهرية لهويتهن ظل موجوداً، بل وتعمق فعلاً في عملية اللجوء: وهو

الفن التقليدي للتداخل بين القصص الشخصي والديني. وقبل كل شيء، فإن قصص هؤلاء النساء تتعلق بطقوس الحداد المرعية منذ زمن قديم. فهذه الطقوس تتحول إلى خيط يربط بين المشاركات في ذكرى التواريخ المقدسة والرموز الشيعية وهي طقوس تعمل كوسيلة للترابط، وإحياء الذكرى، والعلاج. فهي تخلق شبكة في الشتات تبرز منها شخصيات نسائية فاعلة لمن يعملن كوصيات على الأمل في وجه حالات هي عند كثير من النساء حالات رعب يعجز عنه الوصف، وصددمات لا تطاق.

ويستكشف هذا الفصل أحد الطقوس المخصصة للنساء تحديداً ويسمى مجلس القراءة. وهو تجمع للحداد واستذكار آل البيت (بيت النبي). وتشمل الطقوس النساء والأطفال وتتم في البيوت. حيث تجري قراءة مرثي التفجع للبكاء والحداد. والهدف من هذه المرثي الشعرية هو وصف آلام آل البيت وتقاسم الشعور بها بتذكر كفاحهم لإعادة حكم العدل إلى أمتهم الإسلامية⁽¹⁾. وتقدم القصص والأشعار رؤية معمقة للطريقة التي يقيم بها الشيعة من المجتمعات المختلفة روابط أفقية فيما بينهم وعامودية عبر الزمن مع ينابيع دينهم⁽²⁾.

ومنذ القرن السابع الميلادي يؤدي الشيعة طقوس المجالس هذه وبذلك يخلقون علاقات مع أجيالهم السابقة (الحيدري 1999). وعندما تأتي اللاجئات موضوع هذه الدراسة إلى المجلس لتذكر آلام آل البيت ومعاناتهم، فإنهن يجلبن معهن الصدمات الفردية والجماعية من حربين ومن القمع السياسي، وهي صدمات ليس من المفروض التعبير عنها علناً. وهي أحداث مختلفة، منها ما هو شخصي جداً - مثل التعذيب، والاختصاب، ومشاهدة تعذيب الأحبة الأعزاء وموتهم - ومنها ما هو جماعي كصدمة تتشارك في الشعور بها نساء مجتمعات مضطهدة بكاملها، بينما تتشارك نساء أخريات في صدمات الأحداث بالاستماع إلى قصص تسردها نساء أخريات، في المجلس على الأغلب.

إن النساء اللواتي قابلتهن كن من ضحايا الاضطهاد في العراق منذ سبعينيات القرن العشرين، ملتمسات لجوء في العربية السعودية ومغتربات من اللاجئين الذين استوطنوا في هولندا. والصدمات المتراكمة التي تعرضن لها زاد من شدتها

شعورهن بأنهن كن أيضاً ضحايا خيانة تسيطر عليهن كالهاجس منذ لحظة سحق صدام حسين لانقضاة عام 1991 وتخلي أميركا عنهن. وقد تبعت ذلك خيانات أخرى من أميركا وحلفائها في حرب الخليج عندما تلقى اللاجئون العراقيون وعداً بإيوائهم في الولايات المتحدة على الفور عندما عبروا إلى المناطق العراقية التي وقعت تحت سيطرة القوات الأميركية. وبدلاً من ذلك فقد أرسلوا إلى مخيم رفحة السعودي للاجئين في الصحراء. وقيل لهم بأنه سيكون «ملجأ مؤقتاً» ولكنهم أمضوا فيه ثلاثة أعوام (1991 - 1993) من العزلة القاسية التي جعلته يشبه السجن. ومما زاد في تفاقم الشعور بالخيانة موقف العداء وعدم المبالاة التي واجهتهم به السعودية، التي كان لها دور فعال في القرار الأميركي بخيانة الانقضاة وفي رفض السماح للاجئين بالاندماج في المجتمع السعودي. كما أن هذه الصدمات المتفاكمة قد زاد من حدتها شعور النساء بالذنب تجاه تخليهن عن أفراد أسرهن عندما اخترن الهرب من العراق. وإحساسهن بأنهن متواطئات (ولو بطريقة سلبية) في تحطيم ما بقي من عوائلهن وأقاربهن عند توطينهن في أماكن أخرى بعيداً عنهم. وهن يعتقدن بأن إظهار إخلاصهن المتفاني في المجلس قد يحول الآمهن إلى شيء جيد - هو الشعور الديني الجماعي بالتواصل والانتماء وإحياء الذكريات. ولكي تؤدي الطقوس وظيفتها الدينية، يتعين على النساء أن يتفاعلن مع تاريخهن، وأن يتذكرنه ويعشن فيه ثانية، وأن يظهرن تعاطفهن بالبكاء.

وفي هذه المقالة أتفحص استخدام النساء للرموز الدينية والقصص المقدسة للتغلب على الآمهن الخاصة، ومخاوفهن، وشعورهن بالضيق والتعرض للخيانة، والانهيار العاطفي. ومنذ القرن السابع الميلادي، كانت النساء الشيعيات يستخدمن السرد القصصي في المجلس في الوسط المألوف لأقاربهن المباشرين، فيمزجن بين قصصهن الذاتية والقصص القديمة. وإن اهتمامي بالصدق الموضوعي لقصصهن أقل من اهتمامي بالمعاني التي يعطينها للأحداث التي مرت بهن في تجاربهن. فكيف تتفتح القصة وتنتشر؟ وكيف تتحدث الرواية عن شخصها؟ وما هي اللغة التي تستخدمها؟ وهل تسير القصة في خط مستقيم أم في دائرة؟ وما هي أهمية حالات

التوقف فيها؟ وما الدور الذي يلعبه السرد القصصي في إدامة الثقافة العراقية في هولندا وفي إعطاء معلومات عن هوية جماعية؟

إنني أجادل بأن سرد القصص المقدسة يساعد على شفاء الجراح النفسية والعاطفية الناجمة عن الحروب وعن المنايا. فالنساء يجدن عزاء وراحة في البكاء الجماعي أثناء طقوس سرد قصص القرن السابع الميلادي عن حالات الخيانة والموت التي تعرض لها آل بيت النبي. وبذلك فإن النساء المجتمعات في المجلس يفرجن عن الآلمهن عن طريق تذكر آلام الآخرين. وما يثير اهتمامي هو كيفية قيام النساء اللواتي التقيت بهن بربط تاريخ الشيعة بواقعهن الحالي في هولندا.

القصص الشيعية والإطار الديني

إن أحد الفروق الهامة بين المجتمعات الشيعية والسنية ينعكس بأكبر قدر من الوضوح في مواقفهم من العلاقة بين «الرجل» و«الكتاب». فعند السنة أن القرآن هو دليل وبرهان على ذاته بفضل إعجازه. وهكذا ففي الإسلام السني فإن «الكتاب» مقدم على «الرجل» (شوبل 1993، ص 15). أما عند الشيعة، فإن البرهنة على تنوع القرآن موكولة إلى النبي. ومن هنا فإن لآل البيت مكانة مركزية في إيمان الشيعة وتقواهم. كما أن التأكيد على الولاء الفردي والجماعي للنبي له آثار وعواقب هامة في تفكير الشيعة، وممارساتهم وطقوسهم.

والتشيع يأخذ اسمه من كلمة «شيعة» التي معناها التشيع لعلي ومؤازرته. وعلي هو ابن عم النبي محمد وصهره. ويعتقد الشيعة أن الله ومحمداً قد عينا علياً كأول خليفة ذي حق في سلطة النبي السياسية والروحية. ومن جهة أخرى فإن السنة يعتقدون أن علياً هو الخليفة الشرعي الرابع في الإسلام بعد الخلفاء الثلاثة، أبي بكر وعمر وعثمان، وأنهم جميعاً يشكلون مرحلة حكم الخلفاء الراشدين. ويفضّب الشيعة من رفض المجتمع الإسلامي السني حق علي وحده في وراثة الخلافة. فهم يرون أن الإمامة الإسلامية أكثر من قيادة سياسية، فهي منصب ذو سلطة إعجازية، صوفية، روحية لاهوتية متعلقة بالخلاص. ويقوم اعتقادهم هذا على الآية القرآنية

رقم 124 في سورة البقرة التي يعد الله فيها إبراهيم وذريته يجعلهم أئمة. وحسب التاريخ الديني فإن محمداً وابن عمه علياً هما من نسل النبي إبراهيم عن طريق ولده إسماعيل. ومحمد هو الأخير في نسل الأنبياء، ولكن علياً، كما تقول الآية، قد وعده الله بأن يكون إماماً⁽¹⁾.

ومثل الأنبياء، فإن علياً والأئمة - كما يعتقد الشيعة - هم معصومون وقادرون على قيادة المجتمع لأن لديهم علماً سرياً خفياً من النبي (هوفمان - لاد 1992، ص 626). وبالنسبة للشيعة، فإن النبي وآله أكثر من مجرد بشر. فهم الحكمة النبوية متجسدة، وهم النور النبوي في العالم. وهكذا فإن إنكار حق علي في الخلافة يشكل خيانة تنطوي على تدنيس للمقدسات الدينية. وتقوم تعاليم الشيعة على القرآن والحديث، مما يؤكد للشيعة أن معتقداتهم لها حجة نصية ثابتة.

إن حب آل البيت يقبله الشيعة والسنة على حد سواء، فهو يوحدهم. ويعبر معظم السنة وكل الشيعة عن حبهم لآل النبي بزيارة قبورهم والعناية بها. وينظم قضاة المدح لهم وإقامة الاحتفالات، وتقديم الصدقات باسمهم. وما يميز الشيعة هو أنهم يقيمون طقوس حداد تستخدم كمئبر للتعبير عن حبهم لآل البيت. كما أن سيرة حياة كل واحد من آل البيت والحوادث التي جرت فيها تشكل مصادر هامة لمجلس القراءة.

وأهمية تاريخ العائلة المقدسة بالنسبة للشيعة منعكسة في التقويم الطقوسي، الذي يحتوي على أكثر من ثمانية وأربعين مناسبة احتفال بمولد أو وفاة تخص النبي، والأئمة الاثني عشر، ونساء آل البيت - والسيدة فاطمة على وجه الخصوص. فهي ابنة النبي، وهي مصدر الأئمة، وأم السيدة زينب، حفيدة النبي وأخت الحسن والحسين. وكل واحدة من هذه المناسبات السنوية تعطي الشيعة فرصة لتأكيد ولائهم عن طريق أعمال التقوى والإخلاص العاطفية. إذ أن تضانيهم في حب آل البيت بيت في غفران ذنوبهم. ويقال بأن هذا الإخلاص لآل البيت والأمل في الخلاص عن طريق هذا الحب، هو الذي يميز الإسلام الشيعي عن الإسلام السني على مستوى التقوى الشعبية (ص 628).

ويتم الاتصال الشخصي بآل البيت أثناء طقوس الحداد وإحياء الذكرى. ويمكن مشاهدة هذا الاتصال بأكبر أشكاله جلاء وبروزاً للعيان أثناء التذکر العام العلني والحداد على استشهاد الإمام الثالث: الحسين. ويتم إحياء الذكرى في العاشر من شهر محرم أول أشهر التقويم الإسلامي. فطقوس الذكرى والحداد على الحسين شديدة تبلغ ذروتها في العاشر من محرم، يوم استشهاده في واقعة كربلاء في عام 680م (61هـ)⁽⁴⁾. وكربلاء، المدينة العراقية في الجنوب، بالقرب من نهر الفرات هي موطن النساء اللواتي أجريت معهن المقابلات من أجل هذه الدراسة.

ورغم أن واقعة كربلاء كانت صغيرة بالنسبة لعدد القوات والضحايا، فإن تأثيرها على التشيع صاعق ومذهل (ريتشارد 1995، ص 29). فهي تمثل عند الشيعة جميعاً الصراع النموذجي الأصلي بين الظالم والمظلوم. فاستشهاد الحسين شعار رمزي لكل جهاد من أجل العدل. وهذا الاعتقاد يفسر سبب قول كل امرأة قوبلت من أجل هذه الدراسة: «التاريخ يعيد نفسه. فتحن ظلماً صدام كما ظلم يزيد حسيناً»⁽⁵⁾ وهن يستحضرن في أشعارهن الحسين ويزيد للإشارة إلى الآمن الذاتية والقمع الذي تعرضن له.

ففي عام 680م (61هـ) توسل أهل الكوفة بالحسين كي يأتي إلى العراق ليقودهم في الثورة على الطاغية يزيد. والكوفة مدينة أخرى في جنوب العراق وهي موطن كثير من النساء اللواتي اشتركن في المقابلات التي أجريت من أجل هذه الدراسة. فغادر الحسين وموكبه الصغير المدينة متوجهاً إلى جنوب العراق. ولكنهم قبل وصول الكوفة أوقفهم جيش يزيد. ولم يأت المدد من الكوفة، فاستشهد الحسين في كربلاء ومعه كل أهل بيته تقريباً. وذعر أهل الكوفة من يزيد بحيث لم يجروا على الثورة ضده. وبعبارة أخرى فإن الناس الذين جاء الحسين لإنقاذهم كانوا هم الذين خانوه. ويشرح إبراهيم الحيدري آثار استشهاد الحسين على شيعة العراق: «ليست هناك أرض أغرقها الدماء كأرض كربلاء، ولا أمة أحزنها الحداد على بطلها كحداد الشيعة العراقيين على الحسين. وإلى حد ما فقد صار الحزن والحداد على الحسين جزءاً من شخصية الشيعي العراقي ونفسيته الذاتية» (1999، ص 35).

وتبقى مجزرة كربلاء حية في مجالس القراءة. وعلى خلاف طقوس شهر محرم، التي تقتصر على أيامه العشرة الأولى فقط وتعرف بمجالس العزاء الحسينية، فإن مجالس القراءة تستمر طيلة أيام السنة، وفيها حداد على كل أفراد أسرة النبي، وليس على الحسين قط. وتنطوي الطقوس والذكريات دائماً على البكاء، وهو عادة ينتقدها السنة. وبالنسبة للشيعة، فإن البكاء على آل البيت، وخصوصاً الحسين ليس شيئاً مشروعاً فحسب، بل هو مجلبة للخلاص كذلك. والعجز عن البكاء قد يثبت أن المرء ضائع روحياً. وقد طلب الإمام السادس، جعفر الصادق من الشيعة أن ينظموا الشعر في الحسين وثورته لإبقاء ذكرى الحسين حية. وقال أيضاً: «ما من أحد من عباد الله تذرف عيناه الدموع من أجلنا إلا عوضه الله دهوراً لا تحصى في الجنة» (شمس الدين 1985، ص 217-218).

الشفاء عند المزارات

إن النساء اللواتي قابلتهن يعتقدن أن كل مسلم محب حقيقي لآل البيت ينبغي عليه أن يقوم بزيارة العتبات المقدسة من أجلهم، ولاسيما في النجف⁽⁶⁾ وكربلاء، والكاظمية⁽⁷⁾، وسامراء⁽⁸⁾، مرة واحدة في العمر على الأقل. ويحظى «الزوار» بمكانة دينية واجتماعية خاصة باعتبارهم محبين حقيقيين لآل بيت النبي. وقد حصلت معظم النساء اللواتي قابلتهن على لقب «زائرة»، وبعضهن لأنهن كن يعشن في أماكن بعيدة ومع ذلك قمن بزيارة العتبات المقدسة، وأخريات لأنهن يعشن في المدن المقدسة ويحظين على الدوام ببركة زيارة العتبات المذكورة.

وكثيراً ما كن يزرن العتبات أثناء الأوقات الصعبة مثل حربي الخليج الأولى والثانية. أما النساء اللواتي لم يستطعن الزيارة فقد أرسلن رسائل شكاوى، وطلبات، وتوسل إلى الأئمة. وكانت تلك الرسائل تتضمن طلبات للحصول على السلام، والصحة، والحماية، وعودة أحبائهن سالمين. وذكرت لي كثيرات منهن أن ضريح الإمام علي في النجف كان مليئاً بمئات من مثل هذه الرسائل الملصقة في طبقات على نوافذ الضريح وأبوابه. ولعلها هي الوسائل الوحيدة التي كانت متاحة لكتابتها للتعبير عن معاناتهم والتخفيف منها. وكانت النساء اللواتي قابلتهن يعانين كثيراً من القلق والضغط

الاجتماعية. وكانت لزيارتهم وصلواتهم ودعائهم في العتبات المقدسة وظيفة نفسية بالإضافة إلى وظائفها الدينية، لأن هذه الزيارات ساعدتهم على الشعور بالسلام والراحة، والقدرة على احتمال القلق. وأوضحت أمينة كيف كانت تربط خيطاً أخضر بنافذة الضريح. وعند استجابة الله لدعائها كانت تقي بنذرها وترمي نقوداً أو ذهباً من خلال النافذة وتعطي صدقات لسدنة المزار، أو توزع أموالاً على الفقراء باسم الإمام. وزعمت جميلة أن الأئمة يشفون المرضى.

وذكرت جميلة أن النظام البعثي قد منع طقوس الحداد والذكرات الشيعية في عام 1977. وأغلق رجال الشرطة البوابة الكبيرة المؤدية إلى ضريحي الحسين والعباس، ووقفوا إلى جانب البوابة المغلقة بينادقهم لمنع الناس من دخول المزار. فكان الناس يقفون بجانب البوابة يطلقون الدعوات والأناشيد. وفجأة رأت هي وغيرها من المحتشدين البوابة تفتح من تلقاء نفسها. وخاف رجال الشرطة فهربوا، ودخل الشيعة مبتهجين. وذكرت فاطمة أن الحكومة عندما منعت إقامة طقوس الذكرى، فقد منعت الحجاج من القدوم إلى العتبات المقدسة، ولكن دون جدوى.

إن عبادة هذه العائلة المقدسة تجري في دماننا. وأذكر ذات مرة بعد مرسوم المنع هذا في عام 1988 أن رجلاً غنياً من منطقتنا جاء بعدة حافلات في منتصف الليل ودعا الناس إلى ركوبها مجاناً إلى كربلاء. وفي الثالثة صباحاً توجهنا بالحافلات إلى منطقة معاميل. ومن هناك ذهبنا مشياً على الأقدام إلى كربلاء كي نصل إلى العتبات المقدسة ونزور الإمام الحسين، والعباس، وقاسماً. وبعد ذلك عدنا لقضاء الليلة في خيمة! كنا مجموعة من الفتيات وكنا نضحك، ونبكي، ونتحدث! فبقينا في الخيمة حتى ظهر اليوم التالي، عندما قيل لنا إنه ستكون هناك «مسيرة» في ذكرى الحسين. وقد شارك في هذه الطقوس حتى الأطفال الذين لم تزد أعمارهم عن أربع سنوات، وكانوا جميعاً يرتدون ملابس خضراء. وكان الناس ينشدون للعباس أثناء المسيرة، ولكن لم ينشدوا لزَيْنَب أبداً. فقد كنا نعتقد أن العباس سوف يصبح عصبياً إذا ذكرت زَيْنَب. وحدث أثناء الهرولة الأصعب في المسيرة أن ذكرها بعض الناس. وكنت منهمكة في غسل وجهي عندما رأيت دخاناً من أعلى ضريح العباس! فذهلنا، وخاف

الناس. ثم أمرونا بأن لا نذكر زينب ثانية! وعندما بدأت بالسير، أغمي عليّ تقريباً. فلقيني رجل أعطانا شرباً حلواً كالحليب. وعندما شربته شعرت بالانتعاش ومشيت لمدة ثلاث ساعات، وكنت مستعدة للمزيد. وكان هناك رجل عجوز على حصان يقود القافلة، وكنا نردد الأناشيد بعده، فقد كان ينشد شعراً ونحن نرد عليه. وكان الحزب الشيوعي في منطقتنا قوياً بين الشيعة، ولم تكن الأحزاب الإسلامية كذلك. ورغم أن الشيوعيين كانوا ملاحدة، فقد كانوا يمارسون الطقوس الشيعية. فكانوا ينظمون الجنازات ويؤدون القراءات عن الحسين. وكانوا يؤمنون بذلك، فقد كان ذلك هو المجتمع الذي دخلوا فيه ولم يكونوا قادرين على تغيير ممارساته!

إن مثل هذا السرد القصصي يشهد على مركزية الذكريات الجماعية في الثقافة الشيعية. ورغم أن الحكومة كانت قد عملت على منع هذه التجمعات، فإن الجماعة الشيعية ظلت صامدة وباقية.

مكان الذكريات

إن السرد القصصي عن الشجاعة والتضحية اللتين بدرتا من الأبطال والبطلات في كربلاء يطلق عليه خطاب كربلاء. فالقصص المعجزة تساعد على شفاء الآلام والصدمات. فبينما تحاول النساء إعادة بناء حياتهن في هولندا، يحضرن مجالس القراءة ليجعلنها جزءاً من أحاديثهن اليومية، وبذلك يخدمن دينهن وينفّسن عن آلامهن الشخصية.

وفيما يلي سأصف مجلساً عن السيدة زينب. وهي بطلة كربلاء، التي أبقت ذكرى آل البيت حية عندما قالت ليزيد: «والله إنك لن تأخذ منا ذاكرتنا» (شمس الدين 1985، ص218). وقد قالت لي إحدى النساء إنه لولا زينب لتعرض تاريخ آل البيت للنسيان منذ زمن طويل. فهي الناطقة باسم آل البيت وحاميهم. فقد كانت فيها روح التحدي رغم أنها بلا حول ولا قوة، فأنقذت الإسلام، وأبقت ذكرى آل البيت حية. ويعزو الشيعة إليها فضل عقد أول مجلس للحداد على الحسين عندما كانت أسيرة في دمشق. وكان الأهم من ذلك هو إنقاذها علياً، الابن الوحيد للحسين الذي بقي بعد كربلاء. فقد ضمنت بقاء ابن أخيها وبالتالي بقاء سلالة الأئمة.

وتعقد مجالس القراءة⁽⁹⁾ في البيوت الخصوصية، حيث يحضرها جمهور من المدعوات يتراوح حجمه من دزينة من النساء إلى مائة امرأة، ولكن المعدل الوسطي يضم حوالي خمسين. وتعمل «الملاية» كرئيسة للمجلس. والملاية⁽¹⁰⁾ كلمة باللهجة العامية العراقية هي المؤنث من كلمة الملاً (ومعناها الشيخ) والملايات هن في العادة نساء محليات تلقين تدريباً تقليدياً. ولا يسمح إلا للنساء بحضور مجالس القراءة، ويجب أن لا يكون هناك رجال في مدى السمع. وتكون مضيئة المجلس شديدة الوعي بنطاق الخيارات المفتوحة أمامها لانتقاء الملاية، وأنواع الأداء التي تشرف عليها، ونوع الضيافة التي يتعين تقديمها، والجو المحيط الذي يجب خلقه.

والخطوة الأولى في العملية هي تهيئة الموقع. أما الأداء الذي سأروي قصته فقد حدث في بيت إحدى النساء اللواتي قابلتهن، وقد تصادف أنها كانت ملاية. فقد وصلت في الساعة الثالثة من بعد ظهر 17 أيلول / سبتمبر عام 1999 لحضور مجلس قراءة عن السيدة زينب يتعقد في السابعة مساءً. وقد جئت مبكرة من أجل المراقبة والمساعدة في تهيئة البيت، لأن المشاركة في التحضير هي جزء من التقوى. وكانت امرأتان قد وصلتا قبلي للمساعدة في الطبخ وإبعاد الأثاث من غرف الجلوس. وبذلك فرغت الغرفة إلا من سجادة فارسية كبيرة ملونة وبضع صور معلقة على الجدار. وكانت هناك ثلاث صور في غرفة جلوس الملاية، إحداها للإمام الأول علي، والثانية للإمام الثالث الحسين. أما الثالثة فكانت لوحة جدارية لأشجار النخيل، التي ترمز إلى الفضل الإلهي، وهي أيقونات حنين إلى الموطن العراقي. إن معظم بيوت النساء العراقيات في هولندا تعلق فيها هذه الصور على الجدار. وبعضها فيه آيات قرآنية أيضاً، أو شيء من أقوال الأئمة منقوشة بالخط العربي. والهدف من هذه المناظر المرئية هو تذكير النساء بوطنهن، وتاريخهن، ودينهن.

وتقدم هذه المناظر نافذة تطل على الطقوس. ويوضح آلان رادلي بأن الناس المطرودين من أوطانهم بالقوة يوجدون شكلاً خاصاً من التذكر يطلق عليه اسم «الحنن». فالأشياء قد تصلح بعض الخلل الذي عانى منه الفرد في حياته، وتستحضر له ذكريات حتى وهي منغرسه في العالم المادي. والتحف الفنية تحافظ على الذكرى

وتشكل رواية التاريخ (1990، ص50، 51، 57). وهكذا فإن صور الأئمة وأشجار النخيل تمثل ماضي العراقيات، وحاضرهن، ومستقبلهن. فتقدم محيطاً يتم خلاله سرد قصصهن الذاتية.

وعند الساعة السادسة والنصف، كانت معظم النساء قد وصلن. وحين وقت صلاة المغرب. وقبل الصلاة قدمن لي تربة، وهي قرص صغير ناعم مدور. ولصنع التربة يتم تجفيف قطع من الطين من كربلاء، وصقلها بأشكال مربعة، أو مستطيلة، أو بيضوية؛ وتوضع على سجادات الصلاة، بحيث يضع المصلي جبهته عند السجود على القرص بدلاً من الأرض. وكان لدى كل امرأة قرص من هذه التربة، التي «طهرها دم الحسين في كربلاء»، كما قالت لي المرأة الجالسة إلى جانبي، «ولذلك فإن تقاليدنا تقضي باستعمالها لصلواتنا لأنها تمثل الأرض التي استشهد عليها الحسين من أجلنا». وهذا القرص الذي يمثل الخطوة الأولى في طقوس الذكرى يعمل كمدخل لتاريخ كربلاء وآل البيت. وهكذا فإن الأفراد يتذكرون تاريخهم الشيعي المحدد الفريد من نوعه خمس مرات في اليوم عندما يصلون ويستعملون قرص التربة.

وبما أن الذكرى هي لبّ الإيمان الشيعي، فإن تجميع مثل هذه الأشياء له أهمية خاصة. ولهذا السبب فإن التحف الفنية في المكان لها أهمية في الطقوس الشيعية تعادل أهمية النصوص المقدسة التي يرتلونها. فهي تقيم علاقة تربطهم بالماضي وتساعد على صيانة الهوية (ص47 - 48). وهكذا فمع وجود التربة، والصور المعروفة على الجدار وروائح الطعام العراقي المثيرة للحنين في الجو، بدأنا جميعاً صلاة المغرب معاً.

طقوس ذكرى زينب والحداد عليها

إن الهدف من القصص التي تنشر في هذا المجلس هو الاستلهام من حياة نساء آل البيت اللواتي ضرين أمثلة في البطولة. ولذا فإن النساء المشاركات في الطقوس يستجمعن القوة من السير الذاتية للأئمة الاثني عشر، الذين عانوا من الاضطهاد والاستشهاد، ومن الشيعة الذين واجهوا في القرون التالية من الاضطهاد مصائر مماثلة بصمود ظاهر ورباطة جأش، بل وبحماس. وهذه القصص تخلط ما هو

خيالي بما هو تاريخي. فالأحداث المروية ليست تاريخية فقط، بل إنها تعبر إلى ما وراء التاريخ، لتصبح في محتواها وسردها نماذج كبرى خارجة عن الزمان والمكان وموازية لهما مع ذلك.

سأركز هنا على القصص الشعرية «المركبة» عن السيدة زينب. ففي هذا الحفل فإن إعادة رواية القصة لا تبدأ إلا بعد إجراء التحضيرات البصرية والروحية للجزء العاطفي من الطقوس. كانت النساء يرتدين ملابس سوداء. وقد جلسن على الأرض في أربعة صفوف على شكل مربع يواجهن فيه بعضهن بعضاً، وظهورهن إلى الجدران. وعندما اكتمل المربع الأول، بدأت النساء اللواتي جئن متأخرات بتشكيل مربع ثانٍ. وقد جلس الأطفال الذين تصل أعمارهن إلى ثلاث سنوات بجوار أمهاتهم أو في أحضانهن⁽¹¹⁾. وجلس الأطفال الأكبر عمراً معاً، مشكلين مربعاً آخر. وتبادلت النساء الحديث بهدوء.

وبدأت الحفلة عند دخول الملائية الغرفة. فأخذت مكاناً عند الطرف الأقصى من المربع الأخير، بحيث تستطيع النساء والأطفال أن يشاهدوا ما تفعل ويسمعوا ما تقول. وهكذا بدأ المجلس مع الجلسة الأولى. فبقيت النساء جالسات ينصتن إلى الملائية ترتل بعض آيات من القرآن من أجل البركة. وعندما صلت على النبي وآله، ولاسيما زينب، رددت النساء معاً كلمة «آمين». وبعد ذلك وجهت حديثاً إلى الإمام الحسين قائلة: «يا إمامي الحسين.. كثيراً ما كنت أزور قبرك وأمس الأرض التي ترقد فيها. وأنا الآن مشتاقة للعودة إليك. لقد مرت سنوات وأنا افتقد بهجة الحضور في روضتك. لقد حاولت أن أزورك. ولكن سيف يزيد [صدام حسين] اللامع منعي وعندما صارت زيارتك شديدة الصعوبة زرت سوريا لأستشق رائحة تراب ضريح السيدة زينب. فأتاح لي وجودك عند السيدة زينب أن أتواصل معك. فأنت والسيدة زينب موجودان معنا بالروح رغم بعدكما».

واعترضت الملائية عن عجزها عن القيام بزيارة قبر الحسين في كربلاء بسبب ممانعة صدام حسين، الذي سمته يزيد، لقيامها بتلك الزيارة. غير أنها لم تستطع مقاومة اشتياقها لآل البيت، فسافرت إلى سوريا، التي هي واحدة من الأماكن التي

يعتقد أن السيدة زينب مدفونة فيها. وقد كانت زينب مقربة جداً من أخيها الحسين، وهكذا استطاعت الملائية عن طريقها أن تستعيد تبريكات الحسين. وتابعت الملائية قائلة إنها تشعر بحضور الحسين وزينب معها في هولندا. ثم تلت صلوات ودعوات بركة للسيدة زينب، ثم روت قصة دور السيدة زينب في أحداث كربلاء التاريخية. كان الحسين يعرف أنه سوف يستشهد. وكان ذلك سبب اصطحابه لنساء آل بيته معه. فقد كان يريد من السيدة زينب أن تتابع رسالته بعد موته. فنجت من المعركة وأصبحت حامية آل البيت. وعندما أخذت أسيرة إلى الكوفة خاطبت واليها دفاعاً عن أخيها وأسرتة. ثم أخذت إلى يزيد في بلاطه بدمشق. فتكلمت مرة أخرى دفاعاً عن أخواتها وأنقذت ابن أخيها من القتل. ورغم أنها كانت عزلاء في مواجهة الخليفة، فإن قوتها قد أدت الرسالة.

ثم وجهت الملائية دعاءً خاصاً للسيدة زينب باسم جميع النساء المجتمعات في المجلس: «يا سيدة زينب، يا صاحبة الإيمان والنور، يا حفيذة النبي محمد، نسألك أن تجعلي حياتنا مشرقة بنورك الرائع وأن تمنحينا القوة على مواجهة مصاعب زماننا. فليساعدنا الله على الالتقاء بك في مكانك العالي من الفردوس. يا سيدتنا زينب العظيمة، باركي تجمعنا باسمك، وألوف الصلوات والسلام عليك». ثم وقفت الملائية، وأخذت تتلو مرثاة من وجهة نظر السيدة زينب عندما رأت استشهاد أخيها. وبدأت الإنشاد بصوت غريب فيه رجة متمعمة تشبه صوت العود. وهكذا تحركت أوتار الرثاء متدفقة من موضوع إلى آخر.

كانت النساء الشيعيات يستخدمن القصص الشعرية كعلاج منذ أيام زينب. وليست روايتهن على شكل شهادة، ولكنها تأخذ شكل التفجع بالأشعار لآلام آل البيت التي تستطيع الشيعيات أن يجسدنها عاطفياً. فهن يمزجن شعر القرنين السادس والسابع الميلاديين بالأشعار التي يكتبنها بأنفسهن عن آل البيت. وعندما وصفت الملائية سليمة مشاعرها في مخيم نفحة للاجئين انزلت إلى وصف حزنها عندما سمعت بوفاة السيد أبي القاسم الخوئي، سليل بيت النبي وزعيم الجماعة الشيعية. فأنشدت قصيدة طويلة وضعت في آخرها نفسها في مكان ذلك العالم الراحل.

أتمنى لو أن جسدي قد رقد
 في التراب قبله
 وأن لا تكون عيناى قد رأتا ذلك الصباح
 لقد تحطم قلبي المحب بسبب فراقه
 وكانت كل النساء سيضحين بأنفسهن من أجله
 لو كان ذلك ممكناً.

وبموجب أثر شعبي فإن سليل بيت النبي، والإمام السادس جعفرًا الصادق قال: «يبنى الله بيتاً في الجنة لكل من يتلو بيتاً من الشعر عنا». وفي حديث آخر يقول جعفر الصادق: «إن كل من يتلو شعراً عن الحسين يُبكي به ثلاثين آخرين ستكون الجنة جزاءه». وأثناء مقابلاتي مع النساء اللاجئات، ذكرن هذه الأحاديث مرات كثيرة.

وكثيراً ما كانت تفاجئني الأشعار العفوية التي تتلوها النساء في فترات الصمت أثناء روايتهن لقصصهن. ودون مقدمة ولا توضيح، كانت كل قصيدة جواباً لسؤال. فعند وصف لحظة رهيبة كانت لغة القصيدة تصبح غنائية. ولم يكن استخدام الأسلوب الغنائي عن عمد عند هؤلاء النساء، بل كانت نتيجة شعورهن العميق بإيقاع القوافي الموزونة. فالشعر في السرد القصصي يضمن الحفاظ على الروايات عن طريق أساليب تقوية الذاكرة بالوزن والقافية. كما أن المجاز يخدم الذاكرة. وكلما كانت الصور أقوى، طال بقاء القصة في الذاكرة الفردية - وبالتالي في الذاكرة الجماعية. وعندما سألت سليمى عن شعورها حول منع النظام البعثي لحفلات الحداد قالت:

يمنعنا الطاغية من السير في طريقكم
 ويا للأسف، فهو لا يقبل أي حفلات حداد!
 فهو يقول: «أنا الحاكم
 وأريد أن أدمرهم وأستريح
 فلماذا لا تنهض يا علي
 وتضع نهاية لهذا!»

وعندما سألت حبيبة عن سبب مجيئها إلى هولندا، أجابت:

سنسأل لماذا أخذت زينب رهينة

سوف يزول بنو أمية إلى الأبد

وسوف يشهد كل واحد في العالم ما نصنع.

ففي هذا المقطع الذي رددته حبيبة، كانت فيه هي زينب، وكان أهل النظام البعثي هم الأمويون. وعندما استذكرت حبيبة يوم القصف الأميركي للعراق في 17 كانون الثاني / يناير، عام 1991، والانفجارات في البصرة، اقتبست الآية الأولى من سورة الزلزلة (99: 1): «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا». إن المفردات التي تستخدمها النساء قوية شديدة. فحتى عندما يصفن الحوادث اليومية يستخدمن كلمات مثل «التدمير» و«الاضطهاد» و«الفسل»، و«القتل»، و«الانهيار». وعندما تصف إحداهن طعاماً مرأً بشكل خاص، فإنها قد تصرح بأنه «آذى» فمها. فقد اشكت طفلة في الرابعة من عمرها بأن أمها «هربت» من الغرفة، وفعل الهرب يستخدم عادة لوصف النفي الإجباري للاجئ. وكانت كل واحدة من النساء تستخدم بانتظام كلمات مثل «العدل» و«الظلم» و«الابتزاز» و«عدم الإنصاف» و«الجور» و«القمع» و«الكارثة» و«الأم».

فالمجلس مجال لمعالجة جماعية مكثفة تتيح للنساء أن يهربن من بيوتهن وواقعهن للمشاركة في عمليات إحياء الذكرى المرتبة بعناية. حيث يكون بوسعهن الاستماع ورواية تاريخهن أثناء تأديتهن لواجهن الديني. وبذلك يتبادلن الراحة الناجمة عن الأحاديث التي تعقب البكاء.

وتتميز أشعار المجلس ببساطة تعابيرها وتكرارها. وتباين المراثي المتفجعة تبايناً كبيراً في طولها، وتركيبها ومحتواها. وتتناول مطالع القصائد عملية استحضار وترنيمه حول وحدانية الله وقوته. وتلي ذلك مقدمة قصيرة لقصة السيدة زينب. وتنتهي القصيدة بالمنشدة وهي تتحدث وكأنها هي السيدة زينب، ثم تطلب من المستمعات تلاوة سورة الفاتحة. وتستحضر طقوس التفجع علاقة القرابة الفردية مبتدئة بعبارات مثل «يا أخي» و«يا أمي». ففي البيت الأول من المراثة الأولى تنادي

السيدة زينب أخاها «يا ابن أُمي»... وتتمنى الموت كي تكون معه:

أه يا ابن أُمي

لقد هجرتني روحي

ولكن ما فائدة روحي دونك

فألمك هو ألمي

يا حسينا، يا حسينا!

وبعد كل مقطع من قصيدة الرثاء، تنضم النساء إلى الملائية في ترديد الترجيع «يا حسينا، يا حسينا!». وتستمر هذه الذكرى الطقوسية حتى الوصول إلى الوقفة.

ثم ترخي النساء أوشحتهن، ويقفن ويشكلن دائرة حول الملائية التي تشد مرثية قوية بشكل خاص، بصوت قوي مليء بالحزن، تستحضر قوافيها الجنائزية المأ عميقاً كأنه صدى الإيقاعات المرنمة في الجنازات الشيعية. وترتفع أصوات النساء وتزداد حدتها عندما يشاركن الملائية في ترديد الترجيع بشكل موحد متناغم: «يا حسينا، يا حسينا!»

والوقفة هي الذروة العاطفية، حيث تزداد شدة البكاء وترتفع محبة النساء لآل البيت وذكراهم إلى أقصى درجاتها العاطفية. وتسمى هذه المرحلة المأتم؛ وهذا اصطلاح يشير إلى أعمال التفجع على الموتى. وبترافق إنشاد المراثي مع صوت اللطم المنتظم حيث تضرب المشاركات صدورهن بإيقاع موحد، فيصبح الصدر الإنساني آلة موسيقية، تملأ الغرفة بضرباتها الموزونة المطردة الثابتة. وبتحقيق هذه الحالة وتشجيع الأخرى على البكاء كذلك، تحقق كل امرأة خلاصها وخلص الأخرى.

وعندما تلاحظ الملائية أن النساء قد وصلن إلى ذروة الانفعال العاطفي، تلطم صدرها ووجهها بيديها لتجعلهن يبكين حتى يحققن وحدة حال من الوجد والأسى. ويستمر الإنشاد بينما تهتز النساء يمناً ويسرةً بصورة موحدة تتابع الإيقاع باللطم على الصدور. وعند هذه النقطة ينخرطن جميعاً في البكاء⁽¹²⁾، بل إن بعضهن يشهقن

بالبكاء في انفجارات مبالغتها، «آه يا حسين، يا ضحية الطغيان!» أو «نتمنى لو كنا معك يا حسين!» أو «آه يا حسين، لعن الله يزيد!»

والمجلس نفسه هو إمرار للتاريخ والهوية في وجه العدو الذي دفع بهؤلاء النساء إلى المنفى، سواء أطلقن عليه اسم يزيد أم صدام. وفي قصيدة شعرية أخرى يرى المرء مرة أخرى التشابه بين رسالة زينب البطولية ورسالة النساء الشيعيات أنفسهن. ولم تكن قد أدركت بعد أن الله قد اختارها. وفي ذلك معنىً ضمني بأن الاختيار قد وقع على النساء الحاضرات أيضاً.

تنادي زينب

من سيحمل رسالتي؟

من سيحفظ تراثي الماضي؟

يا حسيناها، يا حسيناها!

وعندما تقتنع الملائية بأن النساء قد وصلن إلى قمة الألم والحزن، فإنها تنهي الوقفة بقيادتها للنساء في ترتيب لآيات من القرآن. ثم تجلس الملائية والنساء في استراحة قصيرة، ولشرب الماء، ومسح دموعهن. وبعد رواية قصتين تاريخيتين أخريين، إحداهما من سوريا والأخرى من كربلاء، تقف النساء وينصتن للملائية تتلو دعاءً توسلياً شخصياً، فتطلب باسم كل النساء المجتمعات من الإمام الحسين والسيدة زينب أن يشفعا لهن جميعاً للحصول على عفو الله. وفي رسالة أمل لكل المشاركات تنهي المجلس بتوسل مباشر إلى الله طالبة منه العفو عن الذنوب وقبول المجلس، وتردد النساء معها هذا الدعاء.

ورغم أن المجلس يكون عندئذ قد انتهى، فإنه يستمر بشكل آخر. وأثناء تقديم الشطائر، والمشروبات، والقهوة العربية، تستطيع النساء الحديث عن مشكلاتهن الخاصة بحضور الملائية، فيتحدثن عن مشكلات أطفالهن في المدرسة، وعن الحياة في هولندا، وعن مشاعرهن الشخصية حول إعادة توطينهن. وقد أدلت فاطمة في المجلس بتصريح يعكس شعور نساء كثيرات في التجمع: «عندما كنت مريضة، لم

أستطع أن ألوم أحداً على عدم زيارتي، لأنني كنت أعرف أن ظروفهن جميعاً تتحكم فيها أسرهن وبيوتهن. ولم أكن قادرة على الذهاب إلى أميركا للانضمام إلى إخوتي، لأن زوجي وأطفالي هنا. وليست لدي خطط للعودة إلى العراق، لأن أطفالي [الذين ولدوا في هولندا] قد ترعرعوا هنا. فقلت للموظفة الاجتماعية أنني محتاجة إلى الجنسية الهولندية ما دمت غير قادرة على العودة إلى العراق، وقد وعدتني بأن تفكر في ذلك».

وبعد مرحلة صمت، تابعت فاطمة تقول:

لو لم يكن ذهني محملاً ومشغولاً بأشياء كثيرة لتعلمت اللغة [الهولندية]. فإني أفكر دائماً بمستقبل أطفالي في هولندا، وأطفالي الآخرين في العراق. إنني أحلم بهم دائماً وأرى الشرطة تطاردهم دائماً في منامي. وقبل يومين حملت بأن ولدي في العراق قد أمسكت به أفعى، وكنت أصارع لتخليصه منها. إنني في الحقيقة لا أعرف ما الذي سيحدث لأطفالي لو كنت ميتة! ولا أستطيع أن أشرح كل مخاوفي وكوابيسي لصديقاتي، لأن لديهن مخاوفهن الخاصة، أكثر حتى من مخاوفي! إننا نجتمع لتتسلى، فلا أحد سيكون مستعداً لمعالجة هذه القصص التعيسة في العراق. وفي تجمعتنا الأخير، بينما كنا نتسلى، تحدثت إحدى السيدات عن العراق، فرجوناها كلنا أن تتوقف، لأن ذلك سينكأ جراح آلامنا وحدادنا. وهكذا غيرت الموضوع!

وساد صمت طويل عقب حكاية المرأة التي تلقت اللوم لأنها ذكرت قصصاً مؤلمة.

لقد مسّت قصة فاطمة قضايا عديدة تواجه اللاجئات الشيعيات وأسرهن في هولندا، بما في ذلك المصاعب الزوجية، والاقتصادية، والاجتماعية، والنفسية. ذلك أن قلقهن المستمر على سلامة أطفالهن في العراق وفي هولندا معاً، يضاعف شعورهن بالاغتراب. ورغم أن فاطمة قد ذكرت السرور الذي تشعر به في صحبة صديقاتها، فإنها تتردد في تحميلهن أعباء آلامها. وإن قصتها تبين مدى أهمية الحديث في معالجة المشكلات والاضطرابات.

كانت قصة فاطمة تلخص ما عنت منه النساء الحاضرات وبذلك يستطعن

التواصل معه. إن توقع حدوث كارثة إن عاجلاً أم آجلاً هو جزء من الوعي الجماعي والهوية الجماعية للشيعية إلى درجة أن بعضهم يحددون السلام نفسه كشيء جارح أو مضرّ. ومع ذلك فإن النساء يكافحن لإيجاد شعور بالاستقرار والأنس ضمن متاهة المشكلات الجديدة.

وقد أشركت سليمة مجموعة النساء في قصة لحظة مؤذية. وكانت قصتها تتعلق بعملية تجميع لمجلس، وكيف أن مجلساً في العراق أدى إلى تعذيبها.

كانت حفلة الحداد من المفروض أنها مقامة سرّاً. ولكن إحدى الجارات جاءت بلا دعوة. ولا أدري من الذي فتح الباب لها. وفي صباح اليوم التالي، في الساعة الثامنة جاء ضابط شرطة إلى بيتي وأخذني إلى مكتبه. فأعادوني في السادسة مساءً وألقوا بي على باب بيتي فاقدة الوعي. وقد صحوت في الحادية عشرة مساءً. وأثناء استجابي سألتني ذلك الرجل عما كنا نعمل في الليلة السابقة، فقلت له كان لدي بعض الضيفات. فأدار جهاز تسجيل، ولشدة ذهولي، كان عليه صوتي وأنا أتحدث أثناء حفلة الحداد، بما في ذلك جميع القصص التي سردتها والأشعار التي أنشدتها. واشتد غضب الرجل الذي كان يقف ورائي أثناء الاستجواب، فصب سائلاً بارداً على قدمي. فأدى ذلك السائل إلى قلبها كأنها بيضة في زيت مغلي. فأغمي عليّ. وعندما أفتت وجدت أبي، وأمي، وإخوتي، وأخواتي جميعاً حول سريري بوجوه شاحبة. وعندما نظرت إلى قدمي وجدت عارية من اللحم وبقيت فيها العظام وكان الألم يشبه الجحيم. كان قد صب عليها حامض الكبريت. وأثناء الاستجواب سألوني إن كنت غير خائفة منهم عندما أقيمت حفل عاشوراء. فقلت لهم إنني لا أخاف سوى الله وأئمتي. ولكنني كنت في الحقيقة خائفة منهم.

وقد أضفى الرعب في قصة سليمة بعداً آخر على التجمع. فالنساء بحاجة إلى التواصل مع زميلاتهن الشيعيات في جو المجلس المؤنس المألوف. وبالإضافة إلى ذلك فهن يستمددن الشجاعة من الحفلات نفسها. وعند هذه النقطة من الأمسية كان بإمكان النساء أن يناقشن الصعوبات التي يلقينها مع أزواجهن ومع العيش في هولندا بوجه عام. وكانت بعض النساء قد تحدثن مع الملائية بالهاتف لطلب النصح منها قبل

المجلس. وعندئذ صار يوسع الملائية أن تشير إلى تلك المشكلات وتقدم نصيححتها، من أجل فائدة النساء اللواتي تحدثن إليها بالهاتف، وفائدة النساء الأخريات، اللواتي بإمكانهن المشاركة وتقديم النصح أيضاً. وبعد هذه الجلسة، جمعت النساء أشياء هن، وتعانقن، وعدن إلى بيوتهن. وقد أوضحت واحدة منهن: «لقد صار المجلس مكاننا السري لتقاسم الألم والمعاناة، ومناقشة المشكلات التي نواجهها في العراق، وهنا في المنفى.» ولقد كان المجلس أيضاً هو أسلم مكان للتحدث عن المواضيع المحرمة في ظل النظام الاستبدادي في العراق.

والملائية هي مسهلة الأمور والزعيمة الدينية. ومن المهم جداً أن تتفهم الملائية قصص النساء وتجاربهن تفهماً كاملاً، بالإضافة إلى رواية قصص حياتهن في جلسات الحوار التي تلي الطقوس. ويجب أن تكون أيضاً قادرة على إعادة جوهر تلك القصص، بحيث تستطيع استحضارها في حديثها بعد طقوس المجلس. فهي تمتص الطبيعة والإيقاعات النابعة من تجارب النساء واحتياجاتهن، وتوصلها إلى الأخريات في العرض الذي تقدمه. إنها عملية كاملة، فهي توصل محن المجموعة بالتفجع عليها بكلماتها الخاصة الموسيقية البارة. ويجب أن تكون مراجعتها للرواية فعالة كي تجعل المجتمعات ينصتن إليها. فالملائية تعيد سرد تاريخ القصص المقدسة، وتعيد تركيبها، وتعيد العيش فيها⁽¹³⁾. وهي – عن طريق إعادة سرد الأحداث التاريخية – ترغم الشيعيات على تذكر تاريخهن. فتربطهن مع الأصول المشتركة. وبإعادة تركيب الأحداث التاريخية في صياغة شعرية، وتلاوة القصص المقدسة بطريقة تستثير العاطفة، فإنها تسهل الحزن والبكاء. وعندما تقدم أداءً شديداً الكثافة إلى درجة فتح مغاليق العواطف المكبوتة فإنها تتيح للنساء التواصل مع أعمق مستويات وعيهن. كما أنها تجتذب المشاركات الأخريات إلى القصص باستخدامها البارع للتفاصيل الرمزية وطريقة عرضها الروائية.

وقد استذكرت سليمى كيف صارت ملائية. ونستطيع أن نقرأ في قصتها كيف يتم تركيب شبكة من التقوى الشيعية:

منذ الطفولة، كنت معتادة على جمع أسرتي والتحدث إليهم. ولم أكن

أسمح لهم بالذهاب إلى الحمام إلا بعد الانتهاء من كلامي. وفيما بعد بدأت أراقب جدتي وهي تتحدث في المجالس. ورحت أحلم باليوم الذي سأصير فيه مثلها. وأخذت أقلد حركات يدها وتعابير وجهها. وكنت أحضر كل الحفلات منذ أن كنت في الخامسة عشرة، رغم أنني تزوجت في مدينة أخرى غير مدينتي تماماً! وكانت عادتي أن أترك ابنتي مع جدتها. وحاول أهل زوجي أن يثبطوا عزيمتي، ولكنني أصررت. وأثناء حضوري تعودت على طلب الإذن بالتكلم أمام «الشيخ الأكبر». وبعد مدة بدأ الناس يطلبون مني أن أعقد لهم مجالس. وقد حدث ذلك أيضاً في رفحة وفي هولندا. إن تقليد التلاوة ورواية القصص جزء هام من حياتنا، لأن له علاقات بقضيتنا في العراق. أما الآن فلسوء الحظ لم يعد الشباب يهتمون بهذا النوع من الفن، وهنا لم يعد لبناتي اهتمام بذلك، وأخشى أن هذا النوع من الفن والعمل الديني سوف يختفي من بيتنا بعد موتي! فأطفائنا الآن لا يستطيعون أن يشعروا بمعاناتنا وبقضيتنا في العراق، بل ينظرون إليها ببساطة على أنها تخلف. وأنا الآن أتلقى دعوات من نساء تجاوزن الخمسين من أعمارهن كي أدربهن على التلاوة، رغم أنه لم يكن لديهن اهتمام بهذا الفن عندما كنَّ في العراق! وأنا أحفظ كثيراً من الخطب والأشعار والقصص. فأنا كتاب حي. إن الطريقة التي يروي بها المرء القصة قد تكون أهم من القصة نفسها! لقد صرت ملآية وأنا في سن الخامسة عشرة. ولم يكن الحصول على هذا اللقب سهلاً فهو يتطلب شجاعة، وبلاغة، ومعرفة تاريخية! والناس الآن يحاولون التعلم عن طريق الأشرطة المسجلة. وقد تعودت على الحفظ وحدي. وبعض الملايات يفضلن القيام بذلك في مجموعات. ولكن من أجل خدمة مقاصد الإمام الحسين، كنت أفضل أن أتدرب على المجالس وحدي، لأن الاشتراك في التلاوات مع أخريات وهن غير مستعدات من شأنه أن يعطيني الانطباع بأن جزائي من الله سيكون أقل، وسيكون منقوصاً!

إن الطقوس الشيعية تأخذ المشارك فيها إلى نقطة من المعاناة الشديدة لمساعدته على الارتباط - إما رمزياً أو روحياً - بالذين يجسدون جذر نماذج الإسلام الشيعي (شوبل 1993، ص5). فالنساء يتذكرن تاريخهن الخاص عند استماعهن للملأية. فهن يعدن لمعيشة ذلك التاريخ عندما ينشدن معها، فيأخذن مكانهن في الانتماء للتسلسل الكبير للتاريخ الشيعي. فترتفع النساء من عصرهن الزمني ومن الأمهن الخاصة. إن فكرة خاصية الخلاص الكامنة في الألم تتم ترجمتها إلى الحياة الحقيقية كتضحية مستمرة، واستشهاد عن طريق التشبه بالحسين، الذي اختار طريق الاستشهاد نيابة عن أسرته وعن إخوته المسلمين. فالنساء يتشبهن بالأسرة المقدسة وحالات كفاحها العظيم، وعندئذ فقد يستطعن أن يكشفن عن قصصهن الخاصة.

وتتقاسم المشاركات الأمهن معاً في جو حميم جداً. ذلك أن جلوسهن معاً بشكل متقارب أو وقوفهن بشكل متلاصق في دائرة يمكنهن من الاستجابة إلى لغة أجسادهن. وأثناء الإنشاد، تهتز النساء يمنة ويسرة، ويلطمن صدورهن وأفخاذهن مع إيقاع النشيد. كما أن الأناشيد التي تعززها الحركة والإشارات تمكن النساء من مطابقة الأمهن مع معاناة آل البيت. وعند الارتباط جسدياً، وعاطفياً، وروحياً مع قصص آل بيت النبي فإن تواريخ النساء الذاتية تطفو على السطح بشكل طبيعي. والانطلاق في الحديث يضمن تعرفهن على معاناتهن التي يغلفها الصمت في العادة. فالمجلس يقدم للنساء توضيحاً تاريخياً لمحتنهن كضحايا لا حول لها تعرضت للخianات. ومن خلال رواية قصص الصدمات والمحن التاريخية، وصدماتهن ومحنهن الذاتية، يستطعن إقامة علاقات بين ثقافتهن الدينية وحياتهن.

وبالنسبة للنساء اللواتي قبلن الأدوار التقليدية لبنات جنسهن، فإن الحفلة تقدم لهن فرصة نادرة وثمانية للتعبير عن أنفسهن والاضطلاع بالقيادة خارج البيت، وبالنسبة لكثير من النساء يقدم المجلس واحدة من بضع مناسبات للالتقاء وتبادل الحديث مع نساء أخريات في مجال جماعي. كما أن الحرية التي تقدمها هذه الحفلة هي هدية هامة من الأمل والشفاء لكثير من هؤلاء النساء، فهن دونها منعزلات في مجتمع أجنبي غريب.

الروايات العلاجية

لقد قام علماء النفس والمؤرخون منذ زمن بعيد بتحليل القصص الشخصية للناجين من المحن والصدمات كي يفهموا كيف يمكن إعطاء معنى لتجارب الإبادة والتدمير (هيرمان 1992). وفي مقابلاتي مع النساء العراقيات الشيعيات، وجدت أمثلة عديدة من طرق النجاة والبقاء. فعندما كانوا يتحدثون، نساءً ورجالاً، عن قصص حياتهم كان الكثيرون منهم متحفظين في مشاعرهم وتعايرهم، وكأنه لم يكن لديهم شيء يخبروننا به.

فلم تنفجر النساء بالبكاء أبداً عندما كن يخبرنني بقصصهن. فلم تكن رواية قصصهن نابعة من الإشفاق على الذات. وكُنَّ يرين أن البكاء غير لائق أثناء سرد قصصهن. فكن يوفرن الدموع للقصص الجماعية المحفوظة عن الحسين وأسرته، إذ كانت النساء يتعرفن في مآسياته على مآسيهن الذاتية (ليلي أبو لغد 1985). فقد ذكر أبو حمزة الثمالي أن الإمام جعفرأ الصادق قال ذات مرة: «إن بكاء الرجال وحزنهم شيء كربه يستحق التأنيب، إلا البكاء والحزن على الحسين بن علي. فهو وحده الذي يجلب الجزاء». فالبكاء من أجل آل البيت مشروع لأنه ليس ذا طبيعة شخصية. وعند العثور على قصة تشبه استشهاد الحسين وملحمة حزن زينب، تجد النساء العزاء بمعرفتهن أنهن لسن وحدهن.

إن مثل هذه اللقاءات مع التاريخ المقدس عن طريق قصة كربلاء العنيفة الحزينة تتيح للمشاركات إظهار الولاء والتضامن مع النبي وآل بيته، وبالتالي مع الجماعة الشيعية عموماً – فهذا بالنسبة لهن هو «الإسلام الحقيقي». فالمشاركات يتغيرن، لأن استحضار الحزن عن طريق تمثيله بحضور الأخرى الحزينات أيضاً له تأثير علاجي. ورغم أنني كنت مراقبة فقط، فإن من المهم ملاحظة أنني لم أكن منفصلة عن تجربة المجلس بأي حال من الأحوال. بل اخترت المشاركة فيها. كانت أُمي قد توفيت في شهر شباط / فبراير عام 2000. وفي مجلس عام 2001 شعرت بتفاعل خاص بيني وبين المشاركات. فعشت تجربة تقاسم أُمي من خلال تذكر أُم الأخرى. ذلك أن تجربة الاستماع إلى المراثي البليغة التي تصف أُم ابنة فقدت أباهاً أو أخت فقدت أباها جعلتني أتواصل مع أحزاني وأبكي. فكان للتجربة أثر علاجي.

وفي سياق القصص التي جمعتها، كانت رواية تبدو بسيطة لمعركة في الحرب الإيرانية العراقية يمكن أن تتحول فجأة إلى قصة موت حفيد النبي في كربلاء. فعند وصف المصاعب التي أدت إلى انتفاضة عام 1991 تقوم الرواية بتحويل القصة إلى تكريم تاريخي لانتفاضة شيعية حدثت في القرن الثاني عشر الميلادي. ولقد كانت النساء اللواتي قابلتهن عارفات جداً بتاريخ التشيع. ورغم أنهن لم يكن واسعات القراءة بل كانت بعضهن أميات، فقد كان حفظهن لتاريخهن الديني سليماً لأنه قد وصل إليهن تقليدياً عن طريق الرواية الشفهية.

وكانت كثيرات ممن قابلتهن يتحدثن بصيغة الجمع «نحن» عند الإشارة إلى تجاربهن الذاتية. فعندما كانت إحدهن تحكي لي قصة حياتها كان يدهشني وضع قصتها ضمن سياق قصة عائلتها ومجتمعها بشكل محتموم. فكانت الرواية الشخصية في الواقع رواية اجتماعية في الوقت نفسه. وقد تكرر هذا النمط في الروايات الخمسين التي جمعتها. كانت كل امرأة لا تشير إلى نفسها بشكل فردي، بل كانت بشكل دائم تقريباً تترك ضمير المتكلم المفرد لتستعمل ضمير الجمع «نحن» كي تخبرني بقصة شخصية لتاريخها الذاتي. فكانت كل واحدة منهن تشعر أنها مرتبطة بعائلة النبي المقدسة ارتباطاً فردياً، وارتباطاً جماعياً كعضو في الجماعة الشيعية. فكان شعورهن بالانتماء يعزز ارتباطهن بأسرهن عن طريق قرابة الدم، والانتماء إلى آل البيت عن طريق الإيمان الشيعي. غير أن التوضيح الجماعي المفصل لم يكن يمحو الصوت الفردي. وقد تحدثت النساء عن أدوارهن الخاصة في حربي الخليج، وأدوارهن الفعالة في انتفاضة آذار/ مارس عام 1991. فكشفت قصصهن عن الحرب القصة المخفية وغير المعروفة للنساء العربيات في زمن الحرب. فكان «سردهن لتاريخ الحرب» يناقض الشكل النمطي للنساء العربيات بكونه مدعوماً بالحقائق المادية الملموسة. وكانت رواياتهن الحربية تختلف عن «قصة الحرب» التي يكون فيها الرجال في الحرب والنساء في البيت حسب رأي مريم كوك وأليساندرو بورتيللي (كوك 1997، ص15؛ وبورتيللي 1991، ص27). فالنساء اللواتي قابلتهن كنّ في الجبهة، يسافرن إلى حدود إيران لتقديم الغذاء، وإخفاء الجنود، وضمان سلامة أحبائهن. فموضوع قصصهن الحربية هو الشجاعة والعمل الفعلي⁽¹⁴⁾.

وكانت قصصهن محبوبكة مع ذكريات من أجزاء متباينة من حياتهن. فكن في منتصف قصة عن هولندا يقطعن السرد ليحكين رواية عن عراق ما قبل الحرب، ثم يقفزن إلى الأمام للحديث عن مخيم اللاجئين في رفحة، ثم يعدن إلى هولندا، ثم ينتقلن إلى الحديث عن الحسين وأسرته وآلامها التي هي الآلمهن. فعندما يبدأن قصة تصف الرعب الناجم عن إعدام صدام لواحد من أولادهن، ينهين القصة بمشاعر زينب عند مقتل أخيها الحسين. وقد يمزجن ذكريات أناس آخرين مع ذكرياتهن، ولكنهن يتلقين تشجيعاً لخلق قصص لها معنى ومغزى لدى المجموعة. فعندما تتحدث النساء عن حياتهن، يكون لديهن وعي بالظلم وأسبابه الجذرية. فقبل الحرب الإيرانية - العراقية، وأثناءها، وبعدها، كان حزب البعث يفرض رقابة مشددة على الشعب العراقي. ومن أجل حماية أنفسهم والاستمرار في التواصل، طور الشيعة لغة من الشفرات والرموز. وراحوا يستخدمون الأمثال والأشعار وأقوال أئمتهم، بل وآيات من القرآن للرد على الأسئلة، بحيث يجد الأشخاص الخارجيون هذه الردود غامضة مبهمة.

فتواريخ الشيعة ليست مبنية بالأعوام، بل بالحوادث، كما هي الحالة «في سنة تسميم المحاصيل» (كانت تلك السنة هي 1974، كما اكتشفت من خلال بحث خارجي). وبما أنني لم أكن أملك القدرة على فك رموز مسرد التسلسل التاريخي، فإن تلك القصص كانت روايتها خارج الزمن. فلم أكن أدرك أن الزمن قد مضى إلا عندما تتحدث النساء عن الانتقال إلى مواقع جديدة في سردهن. غير أنه يوجد مسرد للأماكن - له أهمية مركزية في رواية القصص كلها - ذلك أن إثبات مشهد أحداث القصة هام وله أولوية في روايتها. فأحمد وصفت كيف تم تدمير بيتها في آذار / مارس عام 1991: «كانت الشوارع مليئة بالناس؛ وكان الأطفال يصرخون؛ وكنا نركض.... وكانت السماء مليئة بالطائرات وتمطر نيراناً حمراء... وقد سقط البيت... وكان هناك دخان - ... دخان شديد السواد يملأ الهواء... وركضنا... وجئنا إلى هنا [إلى هولندا]؛ ونحن نعيش هنا.... فقد حفرت الطائرة ثقباً في السقف كبيراً... فهربنا. ونحن نعيش هنا الآن.... كان بيتنا جيد التأييد وفيه سجاد أحمر

يملاً الغرف... وكانت النوافذ الكبيرة في غرفة الضيوف تسمح بدخول رائحة أشجار الفواكه. آه يا حسين، أقول لك إن خسارتنا عظيمة!، وهكذا تتداخل ذكريات أم أحمد عن النيران والحرائق مع أوصافها لبيتها الهولندي، ثم تعود إلى بيتها في العراق، ومن ثم تعود إلى استحضار الحسين. وأثناء الحديث فإن تدفق ذكرياتها يخلق شبكة تربطها بشيخيات أخريات عبر الزمان والمكان.

وكانت روايات هؤلاء النساء مملوءة أيضاً باتصالات غير كلامية. فقد كن يستخدمن أيديهن ورؤوسهن ليقفن بها ما لا تستطيع الكلمات إيصاله. وكانت هناك إشارة حادة بشكل خاص هي هزة رأس طفيفة كلما تحدثت إحدى النساء عن حادثة فيها ألم أو ظلم على وجه الخصوص. فكانت النساء يحركن رؤوسهن بشكل جماعي بطيء منظم من جانب إلى آخر، مع شعور موحد بالحداد. وهي حركة نبيلة وقوية لا تؤثر على باقي الجسم، وتكون في العادة مصحوبة بزفريات وتهدات من الحنجرة تعبيراً عن التضامن الحزين.

وكثيراً ما كانت النساء يصمتن. فالصمت أداة مقاومة ناجمة عن الخشية؟ فلماذا يشركن غيرهن في قصصهن ما دمن لم يجربن شيئاً سوى الخيانات؟ فعندما كانت هؤلاء النساء يواجهن أسئلة صحفي، أو استبيانات من سلطات معالجة قضايا اللاجئين، أو فضولاً من شخص خارجي، كنّ يعتصمن بالصمت، وبذلك يستطعن السيطرة على توارخهن. إذ أن الاضطهاد الذي تحملنه كان يزيد تعقيد شعورهن بالكتمان والحساسية.

وكانت الروايات مليئة بإشارات خفية ملغزة إلى أشياء تقليدية كلاسيكية كالشعر وأقوال الأئمة. فلم يكن السرد مباشراً صريحاً، وكان الناس يستخدمون هذه الأساليب للتعبير عن الوضع بدلاً من حكاية القصة ببساطة. ويمكن اعتبار طريقة النساء في الحديث شكلاً من أشكال الفن الشعبي. أما الحكم على كون الرواية «جيدة» فهو كثيراً ما يترك للجماعة نفسها. فالرواية «الجيدة» حسبما تحددها اللاجئات العراقيات هي الفعالة في خلق حالة من المزاج العاطفي، وإيصال النظرة الأخلاقية

المتعمقة، ونقل المستمعين إلى مستوى جديد من الفهم أو العمل. فيلاغة الراوي لها أهمية تعادل أهمية الرواية نفسها.

وقد وصفت حبيبة الحياة في العراق قبل صدام بأنها كانت «حياة طيبة، ولكن الدنيا كالحية، ناعمة وطرية، ولكن فيها سمّ قاتل.» كانت تقتبس كلمات الإمام علي كي تعطي معنى لنهاية سعادتها، لنهاية الحياة الطيبة في أرض طيبة. وبإعطاء مثل هذه الاقتباسات في سياق رواية قصص الحياة، كانت النساء يضمنن حكمة جماعية لروايتهن على شكل طبقة من الجمال والصدق.

خاتمة

كانت قصص النساء اللواتي قابلتهن عما حدث في العراق مختلفة بشكل متميز عن تلك التي حدثت في رفحة وفي هولندا. فالقصص العراقية المتوضعة في سياق تعقيد أرض المعركة في الوطن تتميز بالاعتزاز والأسى. وفيها إحساس بالخسارة متغلغل في أي تاريخ حدث في العراق. غير أن قصص العربية السعودية تتميز بلهجة تذكّر الخيانة. فالروايات عن رفحة فيها غضب أكثر من الحزن، وهي تكشف عن شعور النساء بالإحباط وحنينهن إلى وطنهن. فقد كن يشعرون بأن العراق ما زال قريباً، بسبب المناخ، والثقافة الإسلامية، واللغة العربية المعروفة لديهن، والحدود القريبة. وهكذا فعند الحديث عن رفحة كانت النساء يذكرن الوطن بإلحاح عاجل وكانت كثيرات منهن يعتقدن أنهن سوف يعدن قريباً. أما في هولندا فإن لهجة الرواية كانت تتغير بشكل عنيف. فهناك إحساس عميق بالبحث الجماعي عن هوية. وكان موضوع الحرية الدينية يطرح بشكل متكرر. وكان من الواضح أن النساء فخورات بلغتهن وثقافتهن ودينهن. غير أن رأيهن في العراق قد تغير. فلم يعد العراق موجوداً عبر الحدود. ومع إعادة توطين النساء فإن قصصهن عن وطنهن كانت تتطور إلى حكايات حنين. فالعراق يبقى أصلهن، ولكنه لم يعد موطنهن.

ونظراً لأن النساء متدينات، فإن شهادتهن تخلق تضامناً شديداً بين أعضاء الجماعة الشيعية. فهي تساعد على تخليصهن من ماضٍ مدمر عنيف، وتحول الألم إلى حافز مشروع دينياً للازدهار والعمل لمتابعة المثل الاجتماعية العليا، حتى في المنفى. وتقديم الشهادة هو إعطاء القصة الثانوية غير الرسمية وتركيب تاريخ شعب ما كان يمكن سرده بطريقة أخرى.

الحواشي

- (1) حول آلام آل البيت، انظر أميلي 1992، وعقاد 1997، وأرجوماندا 1996.
- (2) حول الحفاظ على الروابط مع الرموز الدينية، انظر مظفر 1999، ووائل 1997، وفضل الله 1997.
- (3) «الإمام» في العربية يعني «القائد». وهذا في المصطلح الإسلامي يشير إلى الشخص الذي يتقدم الآخرين في الصلوات. غير أن المصطلح يشير في الفقه الشيعي إلى كل واحد من خلفاء النبي الاثني عشر.
- (4) ظلت كربلاء منذ القرن العاشر الميلادي مركزاً دينياً ودراسياً. ففيها ضريح الحسين المغطى بالعاج، والذهب، والفضة، وغيرها من الأحجار الكريمة. وفي المزار ولداه (علي الأصغر والطفل عبد الله). وبالقرب من ضريح الحسين ضريح أخيه العباس. وإلى الشرق منه قبر ابن الإمام الحسن (الإمام الثاني). انظر الحيدري 1999، ص 257 - 272.
- (5) يزيد هو ابن معاوية، الحاكم الأموي الأول، الذي يعتبر من وجهة النظر الشيعية من السلالة المغتصبة. وقد وصل معاوية إلى الحكم بعد وفاة الإمام علي، الذي قاتل ضد معاوية أثناء مرحلة حكمه القصيرة كخليفة للسنة وأول إمام للشيعية. وقد ورث يزيد الخلافة الأموية من أبيه.
- (6) تعتبر النجف واحدة من أقدس المدن في العراق. ففي وسطها مسجد الإمام علي ومزاره، الذي هو من أهم أماكن العبادة في العراق. وقيته مغطاة بالذهب. والرغبة النهائية عند الشيعة هي أن يدفنوا في هذا المزار وأن يحصلوا على حماية ورعاية الإمام علي يوم القيامة (الحيدري 1999، ص 240 - 256).
- (7) الكاظمية مرتبطة ببغداد جغرافياً وتاريخياً. فهي تقع إلى شمالها مباشرة وتتأثر بالتطورات التي تجري فيها. وفي وسط الكاظمية يقع مزار الإمامين

الجوادين، الإمام موسى الكاظم، وحفيده الإمام محمد الجواد (الحيدري 1999، ص268 - 274).

(8) سامراء في شمال بغداد، على صفة دجلة الشرقية. والإمام علي الهادي (المتوفى عام 868م) مدفون هناك، مع ابنه الإمام الحسن العسكري (المتوفى عام 873م). وفي سامراء أيضاً نفق الغيبة الذي اختفى منه الإمام المهدي؛ والشيعية يتوقعون عودته كي يعيد العدل إلى الأرض (الحيدري 1999، ص278).

(9) كان موقعي في هذه الطقوس هو موقع المؤرخ الشفهي المتعاطف وقد استخدمت أسلوب المراقبة المشاركة الذي استخدمه علماء الحضارة والأعراق الإنسانية للمراقبة والفهم. وقد عشت مع الشيعيات العراقيات في محاولة لمشاطرتهن الأرضية والتجربة المشتركة التي يعشنها. ومن أجل إنصاف قصصهن، فقد كنت محتاجة إلى الفهم الكامل لتعبير أشكالهن الشعرية.

(10) إن مهمة الملائية هي استحضار الجو لاستعراض موعظة كربلاء من أجل التثقيف الديني لتتوير الجماعة. فالملائية تتلو الأشعار من التاريخ الديني، وكذلك من المآسي الدينية (بأسلوب كثيراً ما يكون خيالياً قصصياً).

(11) يؤتى بالأطفال إلى المجلس كي يجربوا معايشة الطقوس فهم يتلقون تعليمهم عن الطقوس بالتجربة فقط، وليس بالتعاليم الشفهية.

(12) بما أن كل امرأة كانت تبكي، فقد وجدت عيني تدمعان أيضاً.

(13) انظر فضل الله 1997، ص46 - 49، والحيدري 1999، ص35 - 44.

(14) حول موضوع قصص الحرب، انظر كوك 1998، الذي يعكس أصوات الكاتبات العربيات اللواتي كتبن عن الحرب الأهلية اللبنانية. انظر أيضاً كوك 1997، الذي يناقش الكاتبات العربيات وقصص حرب الخليج.